

الملك ترهاقا والإمام المهدي (دراسة تاريخية مقارنة للمكون الديني في الشخصية القيادية السودانية)

مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر
السودان

د. عوض أحمد حسين شبا

المستخلص:

تهدف الدراسة لتسليط الضوء على الشخصية القيادية السودانية ، متناولة شخصية الملك تهارقا والإمام محمد أحمد المهدي ، وتتبع أهمية الدراسة من كونها تعالج واحد من الموضوعات التاريخية المهمة ، والمتمثل في عقد مقارنة بين الشخصيتين في مختلف الجوانب، انتبعت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي والمنهج المقارن بغية الوصول لنتائج والتي من أهمها: هناك تقارب كبير جداً بين الملك تهارقا والإمام محمد أحمد المهدي ، تأثير البيئة المحلية والنشأة الأولى في تشكيل الشخصيتين.

الكلمات المفتاحية: الملك تهارقا، الإمام محمد أحمد المهدي، المكون الديني، الشخصية القيادية ، السمات المشتركة.

Abstract:

The study aims to shed light on the personality of the Sudanese leadership, dealing with the personality of King Taharqa and Imam Muhammad Ahmad al-Mahdi, and the importance of the study stems from the fact that it deals with one of the important historical issues, which is a comparison between the two personalities in various aspects. The study followed the historical, descriptive, analytical and comparative method in order to reach The results, which include the most important: There is a very great affinity between King Taharqa and Imam Muhammad Ahmad Al-Mahdi, the influence of the local environment and the first upbringing in the formation of the two personalities.

Keywords: King Tarhaqa, Imam Muhammad Ahmad al-Mahdi, the religious component, the leading personality, common traits.

مقدمة:

منذ استقلال السودان في منتصف القرن الماضي وجد موضوع الشخصية الوطنية وتحديد ملامحها إهتماماً من عدد من الباحثين السودانيين طرحت بعضها في شكل مقالات في الدوريات والمجلات وذلك للإجابة على سؤال الهوية السودانية والبحث عن خصائصها المشتركة، ولعل من أولي وأهم الدراسات التي تناولت موضوع الشخصية بصورة مباشرة - في معرفة الباحث - هو كتاب محمد إبراهيم أبوسليم بعنوان: "الشخصية السودانية"، (أبوسليم، 1981م)؛ وفي العقدين الأخيرين تزايد الإهتمام بدراسة الشخصية السودانية وتم تناولها من عدة حقول علمية وخاصة علم النفس (الطالب، 2014م - محمد، 2015م - خليل 2005م) وقد ركزت هذه الدراسات على مكونين أساسيين هما: الأول: المكون الجغرافي والبيئي، 00 والثاني: المكون التاريخي والثقافي؛ وفي تقديرنا إن ملامح الشخصية السودانية لم تتبلور بشكل نهائي حتى الآن لحدثة تكون الدولة السودانية كيان سياسي بحدودها الحالية، ولتنوع وتعدد بيئاته الجغرافية وتعدد مكوناته الإثنية والثقافية هذه الدراسة تعتبر إمتداداً للدراسات السابقة والتي سعت لرسم ملامح وسمات الشخصية السودانية بالبحث عن المشتركات التاريخية والثقافية، إلا أنها - في ظننا - طرقت جانباً مهماً ومحدداً وهو المكون الديني للشخصية القيادية السودانية بإتخاذ شخصيتين ملهمتين تمثلان فترتين مهمتين في تاريخ السودان، وهما:

الأول: الملك ترهاقا (710 ق.م - 663 ق.م)

الثاني: الإمام المهدي (1843م - 1885م)

وقد يبرز هنا سؤال ما هي محددات وأسباب إختيار هاتين الشخصيتين لهذه الدراسة؟ ولعل الدافع الشخصي للباحث يدخل في الإجابة على هذا السؤال، وهو إعجابه بهاتين الشخصيتين العظيمتين الملهمتين والمؤثرتين في تاريخ السودان، إضافة لأسباب موضوعية أخرى منها أن الملك ترهاقا رغم حداثة سنه تبوأ مكانة مرموقة بين قادة العالم في تلك الفترة ولعب دوراً مؤثراً في الأحداث السياسية في قمة التوهج السياسي للأمبراطورية الكوشية الممثلة في الأسرة الخامسة والعشرين التي حكمت وادي النيل، فضلاً عن إهتماماته الدينية الواضحة؛ أما الإمام المهدي فهو بلا شك شخصية محورية وقائد لأهم ثورة دينية وسياسية في تاريخ السودان الحديث ويعتبر أبرز مثال لما يعرف بالإسلام السياسي في السودان، وكان مثار إهتمام الباحث منذ فترة، فأعد دراسة بعنوان: "الإمام المهدي في لبب .. دراسة حول أثر المكان في تكوين الشخصية" وهي تطوير لورقة قدمها الباحث في المؤتمر الأول للدراسات المهدوية (2015م)،

؛ كما أن هناك سمات شخصية مشتركة تجمع بين القائدين-سوف تفصح عنها الدراسة- وغيرها من الأسباب التي رجحت إختيار هاتين الشخصيتين. إعتمدت هذه الدراسة علي المنهج التاريخي التحليلي، ولأن هذه الدراسة تهتم بالسمات الشخصية للقائد فإنها تنحو كثيرا نحو علم النفس في تخصصيه علم نفس الشخصية وعلم النفس السياسي، وخاصة أن ثمة تقارب كبير لوحظ بين علم النفس والتاريخ ولأن البعد النفسي أحد جوانب المادة التي على المؤرخ أخذها في الإعتبار مثل غيره من الجوانب (عبدالمنعم، ٢٠١٧م)، كما أن هناك الكثير من المشتركات بين مجالي التحليل النفسي والتاريخ مثلا يسعي كل من المحلل والمؤرخ لإعادة الماضي علي أسس دلالية (روزان، 2017م: 202)، وعليه فإن الدراسة تهتم بالمنهج متعدد التخصصات في محاولة لتقديم مادة قد تساهم فيشرح هذا الموضوع . قال الله تعالى: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ نَبِيِّ الْقُرْآنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (83) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (84) فَاتَّبَعَ سَبَبًا (85) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْآنِ إِنَّمَا أَنْتَ تُعَذِّبُ وَإِنَّمَا أَنْتَ تُتَخَذُ فِيهِمْ حُسْنًا (86) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكْرًا (87) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (88) ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا (89). سورة الكهف (83-89) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (247). سورة البقرة، (الآية 247).

إضاءة حول الشخصية القيادية:

تعددت تعريفات الشخصية الإنسانية، ونكتفي هنا بتعريف أورده عويضة عن بيرت (bert) بأنها نظام متكامل وثابت نسبيا من النزعات الجسمية والنفسية الفطرية والمكتسبة يميز فردا بعينه ويحدد الأساليب التي يتكيف بها مع البيئة المادية والاجتماعية⁽¹⁾ ويتضمن هذا التعريف المختصر تفاصيل كثيرة من الصعب إيرادها في هذه الدراسة الموجزة، ولكننا سنعرض لبعضها متي ما اقتضت الضرورة البحثية لذلك علي تعرض أدناه فقط مخطط عام مركز لمكونات الشخصية قد يفي بالغرض التوضيحي:-

أما سمات الشخصية القيادية -موضوع الدراسة- فقد قسم علماء النفس الإجتماعي أهم سماتها إلى قسمين هما:

الأول: السمات الجسدية (الفيزيائية) مثل الطول والحجم والوزن والنشاط، وهذه

الميزات تلعب دورا مهما في إضفاء التأثير على الجماعة وعلي الرغم من ذلك فقد لاحظ البعض أن عدد من القادة المشهورين كانوا لا يتسمون بطول القامة.

الثاني: السمات الشخصية ومن أهمها الثقة بالنفس، الإلتزان الإنفعالي، السيطرة والقدرة على سياسة الجماعة، الذكاء، المبادرة، الطموح، الحماس والشجاعة، الإبتكار والإبداع، اللباقة، البشاشة، المرونة، الموضوعية وعدم التحيز، الحساسية الإجتماعية والقدرة على التواصل مع الآخرين والصحة. وقد أشارت آيات القرآن الكريم www.feedo.net، النفسية سيكولوجية القيادة الكريم إلى معظم هذه السمات في الآيات التي زينا بها مدخل هذه الدراسة في قصتي ذوالقرنين وطالت، إلا أن هناك جانبا مهما يساهم في التأثير على الشخصية القيادية وهو المكون الديني سنلقي الضوء عليها لما لها من صلة بموضوع الدراسة وسيكون تركيزنا على الفترتين التي عاشت فيهما الشخصيتين اللتين سندرسهما.

تعتبر القيم والمعتقدات أحد أهم عناصر الثقافة (الطالب: 56-60) ومعلوم أن الثقافة مكون أساسي من مكونات الشخصية، وقامت الحضارات الإنسانية في المجتمعات القديمة تحت راية معتقداتها الدينية، وجاءت معظم آثارها إفرانا طبيعيا لتلك المعتقدات والتي تعدت العبادات والشعائر الخاصة إلى التأثير على نظم الحكم والتقاليد العامة والفنون⁽²⁾. ونلاحظ ذلك بوضوح في فترة الإمبراطورية الكوشية وخاصة التي تعددت فيها الآلهة وإن حظي ثلاثة من الآلهة التي جاءت من مصر وهي آمون، موت إيزيس؛ ونال الآلهة آمون مكانة كبيرة بين الآلهة وأصبح كبير الآلهة عندهم وأسبغوا عليه عدة صفات تتلخص في الآتي:-

1. إنه خالق كل ما في الوجود.

2. أنه أب وسيد الآلهة.

3. أنه معطي الملكية.

4. أنه إله قوة ونصر وليس حرب متعطش للدماء.

أما الأشكال والصور التي بدا فيها الآلهة آمون في الآثار فقد تعددت منها تمثال كبش جاث أو صورة إنسان برأس كبش، تمثال رجل جاث براس كبش، صورة رجل ملاح فوق راسه تاج وغيرها من الأشكال⁽³⁾.

بعد إنهيار الإمبراطورية الكوشية في منتصف القرن الرابع الميلادي إستمرت موروثاتها الدينية حتي قيام الممالك النوبية في القرن السادس الميلادي التي أعتنقت الديانة المسيحية كدين رسمي لهذه الممالك علي يد

الإرساليات التبشيرية الرسمية في منتصف القرن السادس الميلادي، وتسرب الإسلام بصورة تدريجية بعد فتح الإسلامي لمصر بواسطة التجار المسلمين أو عن طريق المجموعات الرعوية العربية التي تنقلت جنوباً دون تدخل من الدولة الإسلامية، ثم ساهمت التطورات السياسية لاحقاً في إنتشار الإسلام وأقول شمس المسيحية في بلاد النوبة منها الحملات المتكررة للسلطنة المملوكية التي تولت مقاليد الحكم في مصر على دنقلا عاصمة المملكة النوبية، أسفرت عن تنصيب سيف الدين برشمبو أحد الأمراء الذين تربوا في قصور مصر وأعتنقوا الإسلام علي عرش دنقلا عام 1317 م؛ لتبدأ مرحلة جديدة في تاريخ دخول الإسلام السودان بتوافد علماء الدين الذين عهدوا على أنفسهم تعليم السكان القران الكريم والفقهِ وذلك في فترة الدولة السنارية التي قامت في مطلع القرن السادس عشر الميلادي⁽⁴⁾، لتظهر معالم أول دولة دينية في السودان مع قيام الثورة المهديّة عام 1885م.

شخصية الملك ترهاقا الدينية :

إن حديثنا عن شخصية الملك ترهاقا الدينية يتطلب منا بالضرورة التعريف به تعريفا موجزا يتناول ميلاده وأسرته لمعرفة الظروف الاجتماعية والثقافية التي نشأ فيها وشكلت سمات شخصيته وجانباً من أهم نشاطاته السياسية. ورد اسم الملك ترهاقا في النصوص التي خلفها بعد صيغ وهي تاهرك، ترهاكه، تهارقو، وتاهرقه، وهذه الأسماء كلها تدور حول ترتيب حروف هذا الاسم⁽⁵⁾، وكذلك كتبه محمد إبراهيم بكر طهارقة⁽⁶⁾. وشاع عند معظم السودانين اسم ترهاقا لذا كان تفضيلنا في استخدامه في هذه الدراسة. ولد الملك ترهاقا سنة 710 ق.م⁽⁷⁾، ووالدته هي الملكة إبار أخت الملك الأرا، أما والده فقد دار خلاف حوله، هل هو أخ الملك بيبي (بعانخي)، أم أبنه؟ ويرجح الحسن بعد قراءته وتحليله للنصوص الواردة في هذا الموضوع. (أن ترهاقا هو ابن الملك بيبي⁽⁸⁾).

أما البيئة الاجتماعية والثقافية التي نشأ فيها فإنه ينتمي للأسرة الملكية التي أسست مملكة نبتة في القرن التاسع قبل الميلاد، ونجحت في حكم مصر منذ عام 751 ق.م وحتى عام 656 ق.م، وعرفت بالأسرة الخامسة والعشرين في تسلسل الحضارة المصرية.

وتضاربت الأراء والافتراضات حول أصول هذه الأسرة تلخصت في ثلاثة وهي: الأصل المصري، الأصل الليبي والأصل المحلي؛ ومؤسس هذه الأسرة علي حسب ماتوفر من معلومات هو الأرا إلا أن الفضل يرجع إلى أخيه كاشتا في - 716 توطيد حكم الأسرة ومد نفوذ حكمه شمالاً، ثم خلفه إبنه بيبي (751 - 139 ق.م) الذي

أكمل مجهودات والده وأكمل مابدأه وضم إليه مصر⁽⁹⁾، وقد أستمدت هذه الأسرة شرعيتها في الحكم من العقيدة الدينية المبنية على الأسطورة التي تقول إن الإله آمون معبودهم الأول قد استجاب لدعوة الزعيم أارا لجعل الملك في أبناء أخته أهد الأبدين وأن يجعلهم مشهورين وموفقين ، وفي الآثار رمزوا لدور الإله آمون في منظر للملك واقفا أمامه وهو يتقبل من يده المدودة الصولجان رمز السلطة مصورة علي جدران واعمدة المعابد وعلي لوحات التتويج ،حيث كان يتوج الملك عند معبد آمون الكبير في جبل البركل ثم يقوم الملك بزيارة عدد من المعابد الآمونية في المحور الشمالي للمملكة لتباركه الآلهة ويكتمل تتويجه ملكا ويصير مقدسا عند رعيته ؛من جانب آخر فإن بعض الشواهد تشير إلى انتماء الملوك⁽¹⁰⁾.

وهو موضوع لانريد الخوض فيه ولكن أردنا- لطبقة الكهنة⁽¹¹⁾ من خلاله توضيح مدي ارتباط الملك ترهاقا والاسرة الملكية بالعقائد الدينية التي أثرت في شخصيته الدينية، وقد نعود لهذا الموضوع مرة .
إعتلي العرش الملك ترهاقا الشقيق الأصغر لشبكتو في وقت ما حوالي 253(وقد دار نقاش بين العلماء حول - عام 689ق.م⁽¹²⁾).

موضوع توليه السلطة، حيث يري بعض الباحثين أن ترهاقا كان مغتصبا للسلطة لأن الأحق بها كان الأمير خاليوت لأنه ابن بعانخي والأخ الأكبر لترهاقا، ورغم الغموض الذي لازم تولي ترهاقا للسلطة ، إلا أن الراجح على ماهو متوفر من نصوص نقشية أن الملك شبكتو قد أستدعي إخوته وعلي رأسهم إخيه الأصغر ترهاقا سنة 695ق.م ، وعمره أنذاك لم يتجاوز العشرين بعد ،وصار قائدا للجيش الملكي في مصر ؛وبعد وفاة أخيه تم تتويجه ملكا، وقد قدمت أمه الملكة إبار لمصر حين توليه الملك ، وربما كان سبب قدموها حضور مراسيم تتويج إبنها(الحسن⁽¹³⁾) ، ولعل من أسباب إختيار ترهاقا كفاءته القتالية وخاصة أن مصر كانت تعاني من الإضطرابات الأمنية نتيجة للصراع الأقليمي بين قوتين كبيرتين هما: الأمبراطوريتين الأشورية والكوشية للسيطرة على مناطق فلسطين ووادي النيل ، وحاول الأشوريين مد نفوذهم إلى هذه المناطق،ولكن تصدي لهم ترهاقا ، ودارت بين الطرفين سلسلة من المعارك بين كر وفر، إنتهي إلى هزيمة ترهاقا وإضطرابه للإنسحاب جنوبا إلى عاصمة مملكته الأولى في نبتة حتي توفي عام 663 ق.م⁽¹⁴⁾ .

ويصف آدمز شخصية ترهاقا وصفا بليغا موجزا نورده لنلقي الضوء علي هذا الجانب من حياته ، جاء فيه :-

” ... رجلا ذا قدرة مرموقة، مع أنه كان من أكثر القادة العسكريين

إخفاقا في التاريخ...“ (15).

أما الجانب الأوضح في شخصية الملك ترهاقا، هو شخصيته الدينية وقد وصفها الحسن في دراسته القيمة عن الملك ترهاقا، علي النحو التالي: “طغت شخصية الملك تهارقا (ترهاقا) الدينية علي ما عداها من الشخصيات التي ميزت هذا الملك عن من سواه من الملوك السودانيين، لقد كان دائم الحرص علي إرضاء الآلهة، والاله آمون علي وجه الخصوص وظل يفخر بهذا الخصوص ويكرر ذكره في كل نقش خلفه ...“ (16)، وتبرز الشخصية الدينية للملك ترهاقا في الكثير من مخلفاته الأثرية المتمثلة في كثرة الصروح الدينية والمعابد التي أقامها، وفي تماثيله ورسوماته ونقوشه التي تكشف هذه السمة في شخصيته، نكتفي بإيراد بعض النماذج، منها مشهد تصويري للملك ترهاقا في ملابس إحتفالية طويلة محلاة بالمتديلات المزركشة مع لف وسطه بفرو الفهد، وهو جزء من مكونات أزياء الكهان المعروفة (17)، ولعل هذه الصورة تعكس جانبا من دوره الكهنوتي، وكذلك تماثله الصغير- الموجود في متحف اللوفر - الذي يمثله راكعا يقدم قربانا لاله حورس (الصقر) (18)؛ ومن جانب آخر فإن إهتمامه المتزايد في بناء وتأهيل المعابد الآمونية في معظم مراكز مملكته في البركل والكوة -سنشير لمعبد الكوة لاحقا- وغيرها، ولم يتوقف إهتمام الملك ترهاقا بالاله آمون، مثلا حظيت الإلهة موت وهي زوجة آمون بتعظيمه فقد أهدى لها المعبد الصخري في البركل (19).

هذه الأمثلة القليلة التي أوردناها تكشف بوضوح المكون الديني المتجذر في شخصية الملك ترهاقا.

شخصية الإمام المهدي الدينية :

ولد الإمام محمد أحمد المهدي مابين عامي 1843م و 1844م، فقد أورد أن محمد أحمد المهدي ولد في جزيرة لبب الصغيرة (a.b theobald) ثيوبولد بالقرب من دنقلا حوالي عام 1844م (20)، وأيد عبدالجليل هذه الرواية أستنادا على معلومة إستقاها من عبدالرحمن محمد أحمد المهدي مفادها أن تاريخ ميلاد والده في الأسبوع الثاني من شهر أغسطس سنة 1844م (21)، وذكر شقير أن محمد أحمد المهدي ولد في جزيرة ضرار من أعمال دنقلا سنة 1843م، ووالدته تدعي زينب، وأخوته الذكور، محمد، حامد وعيدا لله.

(وأخت واحدة وهي نور الشام (22)، ونسب والدته زينب بت نصر بن محمد بن نصر بن سراج الجعلي ووالدها شايقية (23)، أما والده فتزعم بعض الروايات أنه ينتسب إلى الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (24).

الباحث أن لاتعارض في مكان ميلاد محمد أحمد المهدي فجزيرة ضرار أو درار كما ينطقها الأهالي هي إحدى الجزر الصغيرة المكونة لجزيرة لبب الواقعة إلى الجنوب من مدينة دنقلا بحوالي 12 كلم ، وقد إشتهرت هذه الجزيرة باسم جزيرة الأشراف⁽²⁵⁾ ، وهي اسم لمجموعة تزعم أنحارها من الجزيرة العربية وهاجرت إلى السودان في مجموعات صغيرة ، وفي فترات متفاوتة، وقد تأرجحت أراء الباحثين حول الأصول الجغرافية والأثنية لهذه الأسرة، هل هي محلية أم عربية؟ وإذا كانت عربية فإلى أي المجموعات تنتمي ؟ إلى الكنوز أم إلى الأشراف؟ ومتى قدمت إلى المنطقة؟ ويبدو ان كل هذه الأسئلة مشروعة في ظل الإطار الاجتماعي والثقافي المعقد والمتشابك في شمال ورغم إختلاف وجهات النظر حول هذه الأسرة إلا أن - السودان⁽²⁶⁾.

هناك ثمة إجماع بين الباحثين أن هذه الاسرة وعميدها حاج شريف قد إشتهرت بالتدين والعمل الدعوي والتعليم الديني في منطقة دنقلا، مما كان له أثر كبير في تكوين شخصية محمد أحمد المهدي الذي مال بالفطرة إلى العلوم كان إلى جانب أمتهانه للنجارة _ الدينية، حيث تشير رواية أن والده عبدا كان فقيها ومعلما دينيا، علم إبنه الطفل الكتابة وقراءة القرآن الكريم وهو لا يزال في لبب⁽²⁷⁾، وتشير رواية أخرى أن محمد أحمد قد درس في صغره بخلوة الخالص فقيرنكتي في منطقة الدفار برفقة والده⁽²⁸⁾، ثم واصل محمد أحمد المهدي دراسته الدينية بعد هجرة أسرته إلى ام درمان ووفاة والده فإنتقل شمالا إلى خلوي الغبش في بربر (1866م) تلقي فيها العلوم وبرز في شخصيته - وقضي بها ثلاث سنوات (1863).

ملاح التصوف تدبرا وفكرا، وبعدها إنتقل إلى الشيخ محمد شريف نور الدائم أشهر زعيم ديني في الجزيرة ، ثم التحق بالشيخ القرشي ود الزين (1880م) ، ثم تفرغ للتعبد والتعليم متخذاً من الجزيرة أبا مقرا له ، فذاع صيته بين المريدين والمتصوفة⁽²⁹⁾ . وفي عام 1881 م أعلن محمد أحمد نفسه مهديا ، وهي فكرة دينية إسلامية تقوم على إنتظار مخلص ومنقذ للامة الاسلامية يملأ الدنيا حقا وعدلا بعد أن ملئت ظلما وجورا ، وقد إتخذت لها مظهرين رئيسيين هما، الأول: عند الشيعة المسلمون الذين يربطون المهدي المنتظر بإمامهم المختفي الذي يؤمنون بتنزهه عن الخطأ وعودته المرتقبة، الثاني: عند السنة الذين يؤمنون بالمهدية وخاصة في فترة الأزمات كمنقذ أو مخلص ولكنها لم تمس أصول عقيدتهم؛ عموما فإن فكرة المهدي قد وجدت رواجاً كبيراً في السودان كغيرها من البلدان الإسلامية خاصة في شمال إفريقيا⁽³⁰⁾؛ وعليه فإن الثورة المهديّة تمثل حركة ذات أصول دينية ساعد

على إنتشارها الضغوط السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي وقعت على المجتمع السوداني في ظل الحكم التركي المصري أدت إلى ثورة سياسية أزاحت هذا الحكم وأستبدلت به حكومة ذات طابع وطني ديني⁽³¹⁾.

بعد إعلان محمد أحمد نفسه مهديا معضدا مهديته بكثير من الحجج الدينية، وزار بعض مدن ومناطق غرب السودان، بدأ ثورته ضد الأتراك إجتماع إليه عدد كبير من المؤيدين من بقاع السودان المختلفة، نجح في تحقيق الإنتصارات العسكرية توجت بتحرير الخرطوم عام 1885م وقيام الدولة المهديّة متخذة من مدينة أم درمان عاصمة لها؛ ويقدم عبدالوهاب أحمد عبدالرحمن تحليلا جيدا لشخصية الإمام المهدي الدينية ودورها في التغيير بطبيعة نشأته الدينية وتعليمه _ السياسي قائلا: "ربط محمد أحمد بن عبدا وفكره ونزغته ومعتقداته الصوفية العميقة، التي كانت تؤمن بالكرامات والبشارات والرؤي الصادقة ودرجات الأولياء والصالحين وحضرات الأنبياء، بعد أن رأى ما آلت إليه أحوال السودان، وكل ما ألم بالإسلام والمسلمين وبال بشرية من ضعف وتدهور بالحكم التركي المصري وأعتبره المسؤول الأول... واتخذ المهدي لنفسه دور المصلح الديني ونادى بضرورة السعي

لإصلاح أحوال البلاد الدينية والسياسية والاقتصادية التي كانت سائدة في السودان آنذاك، بعرض أفكاره ومفاهيمه الدعوية في إطار عام ومقبول لعموم أهل السودان آنذاك، أساسه أنه المهدي المنتظر، المكلف من قبل المولى عز وجل، بالقضاء على الحكم التركي وتأسيس دولة إسلامية..."⁽³²⁾. وتتجلى المظاهر الدينية في دولة المهدي في النظام المتبع في طريقة إختيار رجال دولته مقتبسة من نظام الدولة الإسلامية الأولى في المدينة، فقد عمل محمد أحمد مثل النبي صلي وسلم وأحاط نفسه بأربعة من أقدر رجاله وهم بمثابة الخلفاء الراشدين فخصص لمقعد الخليفة الأول أبوبكر الصديق التعايشي، وفي مقعد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب أجلس على حلو، أما مقعد الخليفة الثالث عثمان بن عفان فقد عرضه على السنوسي في ليبيا ولكنه رفض، فقام بإختيار آدم ود العويسر مكانه، أما مكان الخليفة الرابع علي بن أبي طالب كان من نصيب محمد شريف، وحددت أسبقية كل منهم في الخلافة في حضرة دينية⁽³³⁾؛ عموما يمكن القول بأن الحركة التي قادها محمد أحمد المهدي أسست على مبادئ إصلاح ديني، ولكن لم يمهل القدر هذا القائد أن يعيش طويلا بعد تحرير الخرطوم حيث مات في نفس العام، وأن الدولة المهديّة كانت دينية تهدف إلى إستعادة المجتمع الإسلامي الأول للنبي محمد⁽³⁴⁾، بيد أنها كانت كذلك أول نظام ينجح في توحيد السودانين على إختلاف مشاربهم في دولة وطنية

شكلت أساسا للدولة السودانية الحالية⁽³⁵⁾، ولعل نجاحها في ذلك إستفادتها من الموروث الديني المتراكم والعاطفة الدينية الجياشة لدي السودانيين في توحيدهم، لأن الإمام المهدي بشخصيته الدينية الطاغية مثل بصورة كبيرة تلك العواطف والاشواق الدينية.

السمات المشتركة بين الشخصيتين :

بعد أن تحدثنا في الصفحات السابقة عن المكون الديني للملك ترهاقا والإمام المهدي وبيننا بعض ملامحه فضلنا أن نلقي الضوء علي جوانب أخرى من سمات شخصيتهما بحديث مجمل عن الخصائص والسمات الشخصية المشتركة بين الشخصيتين من خلال المحاور الأساسية التالية حتي تكتمل ملامح هاتين الشخصيتين.

إن أولي الملاحظات والجديرة بالاهتمام أن كل من ترهاقا والمهدي كانا يتيمين وفي نفس السن تقريبا توفي والديهما ، فقد ولد ترهاقا سنة 710 ق.م وتوفي والده الملك بعانخي وهو مازال طفلا وعمره لم يتجاوز ستة أعوام⁽³⁶⁾، وكذلك توفي والد الإمام المهدي بعد هجرته إلى أم درمان عام 1850م⁽³⁷⁾ وهو في نفس عمر ترهاقا، أي عمره حوالي ستة أعوام، ولعل في اليتيم كبير أثر في تكوين الشخصيتين، وقد عبر عن ذلك تشرشل خير تعبير في حديثه عن المهدي: “... كان والده رجل دين متواضعا، مع ذلك فقد جاهد ليوفر لإبنه قدرا من التعليم في الممارسات الدينية ومبادئ القرآن وفن الكتابة. ثم مات في كرري أثناء رحلة له إلى الخرطوم وترك مهدي المستقبل وهو طفل، تحت رحمة العالم. إن الأشجار المتوحدة، إن نمت أصلا تنمو قوية. إن صبيا حرم من رعاية الأب، تنمي لديه عادة- إن أفلت من مهالك الشباب- إستقلال قوة التفكير الذي يعوض فيما بعد الحياة الخسائر في الأيام الأول.

كذلك كان الحال مع محمد أحمد ... “⁽³⁸⁾ من جانب آخر فقد عني بكل من ترهاقا والمهدي في صغرهما إخوتهما خير عناية، وشبا تحت رعايتهما ، يقول ترهاقا في لوح الكوة (5 سطر 14): إنه حضر لمصر من السودان في معية إخوة الملك شبتاكا ليكونوا بجانبه لأنه يحبه أكثر من إخوته بل ومن أبناءه... “(الحسن:) كما وجد المهدي أهتما من أخوته الذي كان يرغب في التعليم رافضا طلب إخوانه في ان يمتهن معهم التجارة في الظروف الاقتصادية الصعبة في ذلك الوقت، ولكنهم إنصاعوا لرغبة المهدي في مواصلة تعليمه الديني⁽³⁹⁾.

أما من ناحية التكوين الجسماني يشترك الاثنان في سماتهما الجسدية، ومعلوم أن للسمات الجسدية-كما أوضحنا سابقا- دور كبير في مكونات الشخصية ومدى تأثيرها على الآخرين ، والمظهر الخارجي وعظمه تضيفي جاذبية وقوة على شخصية الفرد، وقد تميز المهدي بضخامة الجثة وشخصية

خارجية جاذبة ومؤثرة كما ورد في أوصاف الذين شاهدوه، منها وصف سلاطين باشا: "كان طويلا عريض الكتفين ذو لون خفيف السمرة وقوي البنية له رأس ضخم وأعين سوداء وكان له لحية سوداء وشلوخ ثلاثة على كل خد من وجهه له أنف دقيق وفم متناسق وكان دائم الابتسام وعندها تبرق أسنانه البيضاء وبينهما فلجة واضحة بين سنه العلويين..."⁽⁴⁰⁾، ويصفه ابراهيم فوزي بقوله: "كان طويل القامة أسمر اللون بخضرة عريض المنكبين مفتول المساعدين ، ضخم الجثة عظيم الهامة واسع الجبهة أقني الأنف واسع الفم والفكين مستدير اللحية خفيف العارضين أسنانه كاللؤلؤ وفي فكه الأعلى وكذلك - فلجة بين الأسنان حتي سمي بأبو فلجة..."⁽⁴¹⁾. وصف ترهاقا بأنه ضخم الجثة عالي القدر التي تبرز في تماثله التي كانت تنحت أكبر من تماثيل الملوك الآخرين ، وكان يفتخر بقوته الجسدية ويتضح ذلك مما ورد في لوح الكوة (17 - السطر 4) أنه كان واسع الصنادل أي الصندوق الذي كان يتعلقه واسع وفي ذلك دلالة علي كبر حجم قدمه، الأمر الذي يساعد على أن يطأ أعداءه بهذه القدم الضخمة والتي تدل على ضخامة بنيان جسده، والأمر الثاني الذي يفضي إلى الإعتقاد بضخامة قامته ترهاقا خاتمه الذهبي الذي عثر عليه في هرمه بنوري إذ يبلغ قطره 2.6 سم مما يوضح ضخامة أصبع يده وبالتالي ضخامة كفه ويده ومن ثم ضخامة هيئته⁽⁴²⁾ ومن المشتركات بين الشخصيتين أيضا انتماؤهما إلى منطقة جغرافية وبيئة واحدة من البيئات الجغرافية المتعددة للسودان، وهو ما يعرف بقطاع دنقلا ، والذي يمتد على النيل ما بين الشلالين الثالث والرابع ، ويعتبر هذا الموقع مهما في وادي النيل لانه يمثل منحنى النيل الذي يغير مجراه من الجنوب إلى الشمال في شكل نصف دائرة تقريبا، حيث يتجه من منطقة أبو محمد غربا حتي مدينة الدبة ثم يعود إلى الإتجاه شمالا، وهذه الانحناءة ربطت بين الصحراء الشرقية وساحل البحر الأحمر وبين غرب السودان وإفريقيا الغربية من جهة ، وعالم البحر الأبيض المتوسط شمالا وقلب إفريقيا جنوبا، مما جعلها بؤرة للتفاعلات الإجتماعية والثقافية والسياسية نتج عنها حضارات عظيمة قامت في هذا الإقليم من حضارة كرمة وحتى مملكة المقرة، وقد ساعد على ذلك الزراعة المستقرة علي النيل، ولعل لهذا الموروث الحضاري في تشكّل ملامح الشخصية القيادية؛ ولانريد هنا الخوض في تفاصيل الخصائص الجغرافية والمناخية لهذا الإقليم بقدر مانود أن نشير إلى منطقة الكوة كمركز ديني كان لها أثر كبير في التكوين الثقافي للمجتمع، فضلا عن إرتباط شخصيتنا الدراسة بها وجدانيا في توافق ملحوظ.

تقع مدينة الكوة على الضفة الشرقية للنيل جنوب مدينة دنقلا بحوالي 4 كلم تقريبا ، وقد عرفت هذه المدينة قديما بإسم (جم أتون)، ولهذه المنطقة مكانة تاريخية ودينية مهمة تتمثل في المعابد التي شيّدت منذ فترة الدولة المصرية الحديثة، وكذلك وجدت المدينة إهتماما كبير في الأسرة العشرين وما بعدها حيث شيّدت وأهلت المعابد الآمونية⁽⁴²⁾

أن الملك (kawa Iv) وخاصة في فترة الملك ترهاقا، فقد ورد في نقش الكوة ترهاقا أثناء سفره إلى مصر عندما إستدعاه أخوه الملك كاشتا أن قلبه حزن علي الحالة التي وجد عليها معبد الكوة مهملا وقد غطته الرمال إلى سقفه ، عندما أستدعاه أخوه الملك كاشتا لم ينس أن يزور معبد آمون في الكوة ثم أعلن في ذات النقش اللوحي للملا من شعبه عن نيته لإعادة بناء المعبد من الحجر الأبيض الجميل وسماه ببيت أبيه آمون رع (جم آتون)، وقد كرس مواضيع خمس ألواح حجرية نصبها بهذا المعبد حول بناء وتأثيث وافتتاح هذا المعبد ، مع بعض الإشارات إلى علاقاته الأسرية والمناسبات السعيدة التي حدثت في عهده بفضل والده الإله آمون رع⁽⁴⁴⁾؛ ومن الواضح-في تقديرنا- أن الكوة لم تفقد تأثيرها الديني ، وظل إشعاعها الديني مستمرا حتي بعد التحول للإسلام، وربما إنتقل النشاط الديني في الفترة الإسلامية إلى لبب بسبب عوامل جغرافية منها تعرضها للزحف الصحراوي، ومعلوم أن لبب تقع في ذات الإطار الجغرافي للكوة وصارت من أهم المراكز الدينية في السودان وكانت أسرة الإمام المهدي من أهم الأسر الدينية حيث ولد فيها ونشأ الإمام المهدي. وأخير نلاحظ تأصل المفهوم الديني لدي الشخصيتين في فكرة الاستخلاف والتفويض الإلهي في السلطة وعالميتها ، ووضح لنا جليا أن تولي ترهاقا للسلطة تم بمباركة الاله آمون، ولعلنا نلمح من طرف خفي البعد الديني لحروب للملك ترهاقا الإقليمية من خلال إشارات وردت في العهد القديم توصف الملك ترهاقا بأنه منقذ الشعب العبراني من سطوة الأشوريين الذين وصلوا أبواب أورشليم(أشيعياء، الإصحاح⁽⁴⁵⁾)، أما الإمام المهدي عبر بوضوح مهديتي ودعمني _ عن هذه الفكرة بقوله في إحدى خطاباته: “لقد أيد ا الرسول فيها...”(ونجت: 78)، وجاء في إحدى منشوراته: “لابد أن يصل بنا جميع أقطار الأرض ومن أبى لابد أن يخذله ا وقد سعي الإمام المهدي جاهدا عقب تحريره الخرطوم في إيصال هذا المفهوم إلى المحيط الإقليمي وللعالم، فبدأ ببعث الرسائل بذلك إلى الحكام والملوك ورجال الدين ، وإذنا أخذنا مصر نموذجا فنجد أنه كان محط إهتمام الإمام المهدي فبعث بثلاث رسائل إلى مصر، الأولى للخديوي توفيق، والثانية لعلماء مصر، والثالثة منشورا عاما لسكان مصر، موضحا فيه أن خطوته التالية بالتوجه إلى مصر عما قريب وفتحه، ثم التوجه الي الشام ومكة المكرمة، وأوكل أمر فتح مصر للخليفة محمد شريف بجيوشه⁽⁴⁶⁾.

النتائج :

حاولنا في هذه الدراسة الموجزة الإهتمام بالمكون الديني في الشخصية القيادية السودانية بإتخاذ نموذجين شخصيتين قياديتين من فترتين مختلفتين في تاريخ السودان، هما: الملك ترهاقا والإمام المهدي، لتقديم إضاءات كمدخل لدراسات أكثر عمقا وشمولا في المستقبل، وقد خلصت الدراسة إلى النتائج التالية:

1. المعتقد أو الدين من أهم مكونات الشخصية الإنسانية بصورة عامة، لأن الدين يمثل المبادئ والقيم والغايات التي يؤمن بها الإنسان وبالتالي يؤثر في طريقة سلوكه الفردي والجماعي.
2. أن البيئة الاجتماعية والثقافية والدينية التي ينشأ فيها الأفراد لها دور مؤثر في تكوين الشخصية الدينية للشخصيات القيادية.
3. طغت الشخصية الدينية لكل من الشخصيتين موضوع الدراسة- الملك ترهاقا والإمام المهدي- على ماسواهما من سمات شخصية آخري.
4. كان الشخصية الدينية لكل من الملك ترهاقا والإمام المهدي أثر كبير في نظام السياسي والعلاقات الخارجية للسودان- في فترة حكمهما- على المستوى الاقليمي والدولي.
5. هناك سمات شخصية مشتركة تجمع بين الملك ترهاقا والإمام المهدي من حيث النشأ الاجتماعية والثقافية والدينية، وكذلك الخصائص الجسدية.

التوصيات:

واستكمالاً لبعض الجوانب تطرقت لها الدراسة للمكون الديني في الشخصية القيادية، وفي دراسة خصائص الشخصية السودانية بصورة عامة أيضاً، نقدم التوصيات التالية:

1. إنشاء مركز متخصص في دراسات الشخصية السودانية، تهتم بهذا الجانب من الدراسات بالأستعانة بباحثين من مختلف التخصصات ذات الصلة من علماء تاريخ واجتماع ونفس وغيرها.
2. ترسيخ مفهوم الشخصية السودانية وبيان سماتها الإيجابية ومكوناتها المختلفة للنشء وذلك بتضمينها في المناهج التعليمية في مرحلتي الأساس والثانوي، وذلك بتقديم برامج إعلامية لتغطية هذا المجال.
3. إجراء المزيد من الدراسات حول أهمية المكون الديني للشخصية القيادية السودانية، وأثرها في الحياة السياسية في تاريخ السودان الحديث، وخاصة إرتباطها بنشأة القيادات دينية وبالإسلام السياسي

الملاحق



تماثيل للوك كوشيون من بينهم ترهاقا
المصدر: www.wikipedia.com



تمثال الملك ترهاقا في المتحف السودان القومي
المصدر: www.wikipedia.com



المهدي كما تخيله فنان غربي
من كتاب صدر سنة 1884 للكولونيل
الأمريكي
تشارلز شاييه-لونغ.
المصدر: www.wikipedia.com



صورة يقال أنها صور حقيقية للمهدي
المصدر: www.Alnilin.com

المصادر والمراجع:

- (1) عويضة، الشيخ كامل محمد (1996م): علم نفس الشخصية، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، ص86.
- (2) الطالب، محمد عبدالعزيز، (2014م): الشخصية السودانية- دراسة إنثروبولوجية نفسية، ط1، الخرطوم: دار عزلة للنشر والتوزيع، ص-6056.
- (3) الزاكي، عمر حاج، (2008م) : مملكة مروى التاريخ والحضارة، ط 2، الخرطوم، سلسلة إصدارات وحدة تنفيذ السود، ص 119.
- (4) المرجع نفسه ، ص 120-126.
- (5) شبا، عوض أحمد حسين، (ب.ت): المهدي في لبب - دراسة حول أثر المكان في تكوين الشخصية، كتاب غير منشور.
- (6) الحسن، أحمد محمد الحسن، (2007م) : آثار الملك تهارقا في وادي النيل (690 - 663 ق.م) ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، ص 22.
- (7) بكر، محمد إبراهيم، (1983م): تاريخ السودان القديم، (القاهرة: دار المعارف) .
- (8) المرجع نفسه ، 165.
- (9) الحسن ، مرجع سابق، ص 22.
- (10) بكر، مرجع سابق، ص 135.
- (11) الزاكي، مرجع سابق، ص 47-49.
- (12) المرجع نفسه ، ص 132.
- (13) آدمز، وليام ، (2005 م : النوبة رواق إفريقيا، ترجمة : محبوب التيجاني محمود، ط 2 ، القاهرة، 252.
- (14) الحسن ، مرجع سابق، ص 21.
- (15) بكر ، مرجع سابق، ص 165-180.
- (16) آدمز ، مصدر سابق ، ص 253.
- (17) الحسن ، مرجع سابق، ص 215.
- (18) الزاكي ، مرجع سابق، ص 133.
- (19) بكر ، مرجع سابق، ص 158.
- (20) الزاكي ، مرجع سابق، ص 127.
- (21) ثيوبولد، أب، 2010م : المهدي وتاريخ السودان الانجليزي 1889م ترجمة: محمد المصطفى حسين عبدالكريم، (أم درمان: مركز عبدالكريم ميرغني الثقافي) المصري، 53.

- (22) عبد الجليل، الشاطر بصيلي، 2009م: معالم تاريخ السودان وادي النيل من القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر، (الخرطوم؛ مكتبة الشريف الأكاديمية).، ص 209.
- (23) شقير، نعوم، 1981م تاريخ السودان، تحقيق: محمد إبراهيم أبوسليم، (بيروت: دار الجيل) ص 321.
- (24) الزاكي، مرجع سابق، ص 110.
- (25) لكردفاني، إسماعيل عبدالقادر، 1982م: سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي، تحقيق: محمد إبراهيم أبوسليم، ط 2، (بيروت: دار الجيل)، 740-750.
- (26) شبا، مرجع سابق، ص 19.
- (27) المرجع نفسه، ص 47-53.
- (28) باشا، سلاطين، 2008م: السيف والنار في السودان- سيرة ذاتية لرجل حارب ثم خدم الدراويش في الفترة من 1879م وحتى 1895م، تعريب: محمد المصطفى حسن، (الخرطوم: دار عزة للنشر والتوزيع)، ص 89.
- (29) البيلي، حمد عبدالرحمن حمد، 2009م سلف البلياب وأصهارهم من أعيان العرب، الخرطوم.
- (30) محمد سعيد القدال، الإمام المهدي لوحة لسائر سوداني، دار الجيل، بيروت، 1978م، ص 32. هولت، ب.م، (ب.ت): المهديّة في السودان، ترجمة: جميل عبيد (بيروت: دار الفكر العربي)، ص 31.
- (31) نفسه، ص 8.
- (32) عبدالرحمن، عبدالوهاب أحمد، 2011م الشخصية السودانية- المكونات والمؤثرات والسمات (محاولة في النقد الذاتي)، (الخرطوم: جامعة المغربين)، ص 9.
- (33) ونجت، إف. آر، 2009م، المهديّة والسودان المصري، ترجمة: محمد المصطفى حسن، (السودان: دار عزة للنشر والتوزيع)، ص 69.
- (34) خليل، صبري محمد (2008م): عن الشخصية السودانية- دراسة منهجية للمظاهر الفكرية والسلوكية للشخصية السودانية، (الخرطوم: هيئة الخرطوم للصحافة والنشر).
- (35) شعيب، الأمين عثمان (2019م): الأهمية التاريخية لمدينة جم آتون (الكوة)، المجلة العلمية لكليات الآداب والعلوم الإنسانية، ع 1.
- (36) تشرشل، ونستون، (2006م): تاريخ الثورة المهديّة والإحتلال

- البريطاني للسودان، ترجمة: عز الدين محمود، (القاهرة: دار الشروق).
(37) روزان، بول، (2017 م): الأسس الثقافية للتحليل النفسي السياسي،
ترجمة: سارة اللحيان ويوسف الصمعان، ط ١، (بيروت: جداول
للنشر والتوزيع والترجمة).
- (38) عبد المنعم، إيناس صبري، (2017 م): علم النفس السياسي
وسيكولوجية القيادة والجماهير، المركز الديمقراطي العربي.
(39) علي، فاطمة أحمد، (2017 م): الشايقية ومواقفهم من المهديّة،
(القاهرة: واحة الكتب للنشر والتوزيع).
- (40) أبوسليم، محمد إبراهيم، (2004 م): في الشخصية السودانية،
(الخرطوم: مركز أبوسليم للدراسات).
- (41) أحمد، حاتم الصديق محمد، (2018 م): علاقات المهديّة
الخارجية (1881م - 1898م)، مجلة الوسيلة للعلوم
والتكنولوجيا، ع 3، الخرطوم.